يا كلون النحل وغيرهم يا كلون صنوفا اخرى من الحيوانات الدنيئة لا تخطر لاحد منا ببال حتى انه لو اكلها ثم قيل له انها هي لتقيأ حتى يمرض ولكن الباحثين في هذه الحشرات لا يجدون في اكلها ضرراً الا ضرر امتناع العادة لانهم حللوها فما وجدوا فيها شيئاً يؤذي

الا انه من جملة انواع الطعام الشائعة لدى غيرنا والغريبة لدينا اكل الجراد فان العرب يا كلونه ويكادون يختصون باكله دون سائر الشعوب حتى ان يوحنا المعمدان اكل منه مع العسل كما هو مذكور عنه ويقال عن هذا الجراد انه شهي لذيذ ولقد كان من حقنا ان نأكله او نتعود اكله في هذه الايام تخفيفاً له او انتقاماً منه لانه اكل من محصولات القطر شيئاً كثيراً حين غزوته الاخيرة لهذه البلاد . ثم ان العرب البادين يا كلون الضب ايضاً كما ذكر المتنبي عنهم في بعض تعريضه بهم

ابى ربها ان يترك الوحش وحدها وان يؤمن الضب الخبيث من الاكل

ولعل شهادة المتنبي بانه خبيث تكون صادقة ولكن لعل البدو معذورون في اكله لانه كثير بينهم ولان صنوف الاطعمة والبقول قليلة لديهم

الا انه مهما روي لنا عن العرب البادين والحاضرين ومهما ذكروا عن اهالي سيلان والمكسيك فان كل ذلك لا يبلغ مبلغ ما يجري في بلادنا المتمدنة التي لا تأكل البزاق وتعاف الضفادع ولكن بعض نسائها او اكثرهن يا كلن لحوم الكلاب الصغيرة بدعوى انها تسمن بعد الهزال فان هذه العادة كما يقولون شائعة عندنا وللنساء بتلك الكلاب ولع شديد فاذا كان هذا صحيحاً فعلى الحكومة ان تستدرك هذه العادة لان لحم الكلب مؤذٍ ولذلك ضبطت الحكومة كثيرين يذبحون الكلاب ويبيعونها بحجة انها لحوم خراف

او معيز . الا انها ربما تتغاضى عن ذلك لانها تجد نفسها تسمم الكلاب بكثرة حين تكبر فهي تسلط عليها النساء قبل الكبر وتتخذ من سموم جهالتهن سما افعل من سمها واخصر سبيلاً ...

اطالة البقاء

عقد الشاعر المجيد سمو البرنس ارفع الدولة رضا خان سفير دولة ايران العلية في دار السعادة هذه الحكاية قصيدة باللغة الفارسية ثم ترجمها الى الفرنسوية فرأينا تعريبها ايثاراً لمحاسنها وما فيها من الفكاهة والطلاوة وهي

الا اصغ الي ايتها الخليقة العزيزة فاني اريد ان اقص عليك باسم الانسانية احدى مدهشات العالم التي رأيتها في سهل تمرجان

فقد كنا زمرة اخوان مجتمعين ذات ليلة على شاطئ النهر في ضوء القمر وكان الحديث يدور على الشبيبة والشيخوخة وعلى آلام الحياة . وكان بين الحضور ضابط ذو ذكاء وعقل ومعرفة وآخر قائد مهندس له الملم بعلوم شتى وكان الاول سعيداً بالحياة يتمتع بها ملياً بينا كان الثاني ملآن الفؤاد بالغم والحزن

وكان كل شيء يبدو للضابط في حديقة هذه الحياة زهوراً جميلة باهرة الالوان ولكن القائد كان يرى بعكسه كل شيء فيها شوكا وظلاماً . وكان عمر الاول ٣٥ سنة قوي البنية لا ينقصه شرط من شروط الصحة والعافية واما الثاني فكان قد جاوز الخمسين وناب في لمته البياض عن السواد

ولم يكن للضابط ما يدعوه الى الشكوى من حظه اذ ان والده كان قد ترك له ثروة عظيمة واذا لم يكن ينقصه شيء في الحياة فكان يردد على الدوام البيت الاتي « اي شيء في الحياة اشهى للنفس من الشباب واي شيء ادعى للرغبة فيه من الملذات والمسرات »

فاجابه القائد « ايها العائش سعيداً اني سائلك بعد عشرين سنة اذا كنت باقياً في عداد الاحياء عن حالتك اذ تكون ادركت عمري الان وشبعت من لذات الحياة . انه لا يمضي ايها الفتى العزيز عشرون سنة حتى يدعوك بالشيخ الهرم واذ ذاك تلازمك فكرة الموت وتحول عيشك الى امر من السم . ان بصري وقد جاوزت الخمسين دائم التطلع الى القبر ودائم الترديد لبيتي سعدي في جلستانه وملخصها « ايهذا الذي جاوزت الخمسين ولا تزال مستغرقاً في غفلتك اعمل قليلاً في آخر ايامك على ادراك ما فاتك في عهد الشبيبة وانفذ سلفاً الى قبرك بعض بذور من السعادة اذ ما من احد يوافيك بشيء منها متى صرت اليه » وقد غاص رجلاي في الحماة من هذين البيتين وقلبي في لجة من الحزن والاكتئاب . واني لا ادري لماذا جعل الخالق العمر هكذا قصير المدى . لقد كان افضل بكثير لو جعل القدر عمرنا ضعفي الستين . اذن لكرس النصف الاول منه للاشغال ذات الحركة والتنقل والنصف الآخر للراحة والسكون . وجعل النصف الاول لاكتساب الخبرة والنصف الثاني للتلذذ والتمتع بتلك الخبرة . اني لو كنت اعلم ان عمر الانسان ينطوي هكذا سريعاً لما كلفت نفسي مشقات جمة وحملتها متاعب كثيرة بل كنت انزويت في عزلتي بعيداً عن جلبة الناس وضوضائهم . على انك اذا كنت ترغب في الاطلاع على مسبب احزاني وهمي فاليك ترجمة حياتي

ان همي ايام كنت صبياً كان في القرأة والكتابة حتى اذا بلغت الحادية عشرة ادخلوني المدرسة حيث تعلمت الفارسية والعربية ثم زيدت مواد دروسي بتعلم الفرنسوية واللاتينية والروسية . ولما كنت ضعيف البنية فقد اخذ العمل والدرس بانهاك قواي يوماً يوما الى ان بلغت السادسة عشرة فوقعت مريضاً وابعدوني عن المدرسة وعن كل عمل . ولقد ظن الطبيب اني مصاب بالصدر فاخذ بمعالجتي وانقضت سنة كاملة لم تهمل فيها وسيلة من وسائل المعالجة ولكن بدون ادنى جدوى او تحسين في حالتي عند ذلك اشار عليّ الاطباء بتبديل الهواء وسكنى الخلاء . وبعد سنتين من ذلك العهد نجوت من علتي بفضل هواء ناحية روكنباد فعمات اذ ذاك باشارة والدي ودخلت في كلية طهران ولما كان هو صاحب مطامع فقد اوعز الي ان انصرف الى العلوم الرياضية لاصبح مهندساً . وانه بعد خمس سنوات قضيتها في الغربة بعيداً عن اهلي الاعزاء وفي الدرس والعذاب اتممت دروسي ونلت الشهادة المؤذنة بذلك . ولقد كان عمري ٢٥ سنة حين دخلت في خدمة الحكومة وكان ذلك بداية عهد جديد في الجد والعمل وقضيت الحياة في التنقل والترحل وحيث كانت توجد الاعمال الصعبة من طرق تنشأ او حدود تخطط فهناك كنت اجد لا فرق بين الصيف والشتاء حتى اذا انقضت ١٥ سنة في امثال هذه الخدم الجليلة نلت رتبة كولونيل ولقب خان ولو لم يتصاقب نيلي هذه الرتبة واللقب مع وفاة ابي لوجدت نفسي سعيداً من حياتي ومن حظي ومن خدمتي ولكن لا شهد في هذه الدنيا بدون ابر النحل ولا ورد بلا شوك . وقضيت انا ووالدتي ايام الحداد على والدي بين النواح والبكاء حتى اذا انقضت ستة اشهر منها خطر على بال والدتي ان تجعلني رب عيلة فقالت لي لقد لقيت

في هذه الايام فتاة اصيلة النسب كريمة الخلق وهي ذات معرفة وجمال وحياء طيبة اللسان ساحرة بلطفها وبما انها رقيقة الحال فهي تقيم في البيت ككنز مخبوء في خرابة واذا كان بيتها صغيراً حقيراً فما ذلك بسبب لاذلالها لدى ذوي العقول الراجحة فانه يوجد احياناً في الخرائب حجارة كريمة يرغب فيها الملوك والسلاطين . فاذا كان هذا البدر ينير مسكنك وطريقك فتزوجها وكن سعيداً واذا كانت كبيرة السن فما ضر ذلك بشيء . انتما الاثنان قد انضجتكما خبرة الايام وعركتكما صروف الدهر واذ كنت قد جاوزت الاربعين فلا تلتمس لك عروساً صبية . اني من يوم مات ابوك وانا عائشة على انفراد في عزلتي فلو كنت متزوجاً ولك اولاد وعيلة لما كنت هكذا شقية فريدة في معيشتي بل لكنت بسرور بستانية تلك الاغراس والقيمة على العناية بامرهم وانا سعيدة مغتبطة بالاحتفاظ على سلالة اسرتنا وبالجملة فان والدتي اكثرت لي من الكلام بهذا الشأن الى ان عولت على الزواج وبعد زواجي بسنة توفيت والدتي فاثر موتها بي تأثيراً شديداً حتى مزق قلبي ولله كم تحمل اهلي المساكين من الآلام والمتاعب في سبيل تهذيبي وتعليمي حتى اذا اصبحت تلك الثمرة دانية القطوف وافاهم رسول الردى فاقتادهم الى حفرة القبر بين الف صنف من الاكدار والاحزان فاظلم النهار في عيني وكدت اموت غماً لو لم يرزقني الله ولداً ذكراً في اليوم التالي لوفاة والدتي فكانت ولادته سبباً لتعزيتي وسلوي ثم تزايد عدد اولادي حتى بلغ الخمسة في مدة تسع سنوات

وبعد ان خدمت الحكومة ٢٥ سنة وقاسيت من البرد والحر اشكالا والواناً واجتزت حزون الحياة وجبالها وذقت حلوها ومرها عينتني الحكومة

قائداً ومنحتني راتباً مع معاش تقاعد وقد قلت لنفسي عندئذ ها قد انصرفت عنك الهموم والاكدار وطابت لك الدنيا بعد ما خبثت اذ ظننت ان ساعة الصفو والراحة قد دنت ومعها وافت فرصة اللذات واني لاقضي وقتي بهدوء وطمأنينة بين ذوي ناعم الفكر والبال بينا يكون اولادي آخذين بالنمو والنشو رويداً رويداً فيتعلم كل منهم ويصبح شهيراً بين الناس بما يكون مسرة لخاطري وقرة لعيني . ولقد تكون عيشتي من ادنأ ما يكون على هذه الحال لولا ان ذكرى الموت كانت تعاودني في كل حين فتمثله امامي اسود ينغص مرآه عيشي ويكدر صفاءه . ففي كل لحظة كان يذكرني به قولهم لي {ياشيخ} ثم شعري هذا الذي اخذ يتشعب فيه البياض بما يسود ايامي وافكاري . وبينما اكون ضاماً احد اولادي الى صدري كانت دموعي تنحدر من عيني ويعتريني الذهول وتغيب حواسي ثم اقول : ان هؤلاء الاولاد سيهملون وشأنهم بعد موتي ولا من يعيرهم لفتة انعطاف او من يمد لهم يد المساعدة

ولما فاه الزائد بهذه الالفاظ تساقطت العبرات من عينيه كما يتساقط المطر وزفر زفرة بعثت الاسى في صدور جميع رفاقه حتى بغضتهم في الحياة وجعلتهم يلعنون هذه الدنيا ويسخطون على الحظوظ والاقدار ويصممون على انه عند نهاية مهمتهم يغادرون خدمة الحكومة ويعتزلون الدنيا في مكان قصي عنها بعيد وقد قالوا . اذا كانت الحياة قصيرة الى هذا الحد ولا لها من القيمة ما يعادل قلامه ظفر واذا كانت هذه هي نهاية المتاعب فيها فعلام هذا الهم الناصب وهذه الاسفار والاخطار وقد بلغ منا التأثر الى ان كل واحد منا كان يريد الانصراف الى خيمته منقبض الصدر مكتئب النفس واذا بصوت غريب طرق اسماعنا على بغتة جاء من وراء

الخيمة ثم دنا فرأينا شيخاً هرماً يتقدم منا بمزيد الاحترام وهو يناهز المئة والخامسة والعشرين من عمره مستوي القامة غير شاحب اللون تدل ظواهره على ان شهيته للطعام ورقاده وحواسه الخمس وقواه الحيوية متعادلة مع قواه العقلية فبعد ان حيانا بزايد الاحترام استأذن منا للجلوس ثم ابتدأ حديثه قائلاً . لقد وصلت الليلة من بلد بعيد منهوك القوى فشاهدت عن بعد نوراً فقلت في نفسي ان ساعة الراحة قد دنت اذ اقضي هذه الليلة الى جانب هذه الخيمة اميناً على نفسي من الوحوش الضارية ولكن جلبتكم منعت عني النوم وقد سمعت حديثكم بكامله واثر بي كلام القائد ولم استطع ان امانع نفسي وان لم اكن بالمدعو عن ان اجيء اليكم لاخفف عما بنفسه ولاعطيه بعض النصح والارشاد مطاوعة لعاطفة الانسانية . فليقرأ من الان تاريخ الشيوخ الذين عمروا الى المئة فانه لو لم يقرأ في شبابه نصائح سعدي في جلستانه لما كان اليوم حليف هذه الكآبة واليف هذا الهم وغريق تلك الاشجان والحق اقول لكم ان الذنب في مرور السنين بهذه السرعة التي نراها واقع على شعرائنا وعلى كتابنا واجدادنا

ولا ادري لاي سبب قد خفيت الحقيقة طول هذه القرون ولم يبد جلاؤها ساطعاً . ان الحياة التي قدرها لك العلي سبحانه وتعالى لهي فوق ضعفي الستين سنة . انظر في كتب الطبيعة وعلى الخصوص العلوم الطبيعية ترَ ان للخلائق الحية بعد الميلاد حياة مقدّرة بوجه التقريب ذلك ان تحسب زمن استتمام نموها ثم تضربه بخمسة تعلم مدى عمر كل خليقة . واني اعطيك مثلاً على ذلك الحصان الذي يستتم نموه في الخامسة من عمره فانه يعيش بحسب التعديل المتوسط ٢٥ سنة ولما كان الانسان يستتم نموه في الخامسة

والعشرين من عمره فاضرب هذا العدد بخمسة يكن لك مقدار السنة التي يطول اليها عمر الانسان . فلا يحزنك اذن ان العناية قدرت لك عمراً قصيراً بل من الواجب على الكتاب من الان ان يذكروا في كتاباتهم ان الخمس والعشرين سنة الاولى من العمر هي للمراهقة وان الثانية والثالثة للفتوة وللشبيبة وان الرابعة والخامسة للاكتهال وللشيخوخة ودونك نفسي يأت لك البرهان الصادق على ما اقول . ومتى بلغت المئة والخامسة والعشرين من عمرك يمكنك ان تدعو نفسك شيخاً هرماً فاذا تأصل هذا الاعتقاد في عقول الناس فلا يعود واحد منهم يخفي عمره . واذا كتب الفلاسفة والعلماء سواء في شعرهم او في نثرهم ان هذا البياض الذي يلم بالشعر ليس الا دليل الكمال وسبب الاحترام لزال هذا الخوف منه رويداً من ادمغة الناس واصبح وهم يتمنونه ويرغبون فيه . ان التوتة لا تكون في الحقيقة ناضجة الا متى صار لونها الاخضر ابيض وهكذا اللؤلؤ والماس كلما زادا في البياض زادت قيمتهما

اني ادعوك ان تصغى الى كلامي وان تعي ما فيه من النصح والارشاد ولا يحزنك ان ترى شعرك يتبدل سواده بالبياض ومعه ضاقت فسحة آمالك بيد انه اذا كان البياض قد سود افكارك وكان رسول الهم والشجن فالدواء هين سهل المنال وليس ما انت فيه بالمرض العضال والداء الذي يعصي علاجه بل اسمع ما اقوله لك من الكلام الدقيق . ان الافكار السوداء هي التي تقصر العمر وتجعل الايام ثقيلة العبء على الانسان وتجعله بائساً شقياً . وان ما تراه من الموت سابقاً لاوانه فانما هو شاذ لا يعول عليه

ولقد ارى اني اطلت الحديث ولكن قبل اتمامه اقول ان الفلاسفة

ذكروا ان احد الاسباب الجوهرية العاملة على هذا الموت السابق لاوانه انما هو هذا الخوف

(خاف من موته فمات من الخوف كثير فتق وطاوع وناصب)

فلما انتهى الشيخ الى هنا من حديثه اراد ان ينصرف ليستريح فنهض القائد اليه وهو مسرور منشرح الصدر واخذ يقبله ويقول يا علم الشرق يا طبيب النفوس يا محسناً الى الانسانية . ان اقوالك قد ملأت نفسي سروراً وفرحاً وانتزعت منها قتاد الهم وانتشلتني من وهدة الكآبة . لقد افتتحت لنا بابلغ اسلوب مغالق الحياة واسرار الطبيعة واريتنا مدى عمر كل مخلوق فحق على كل شيخ ان يدعو لك في صلواته والان فتفضل باطلاعنا على سرك اتماماً لجميلك وتكميلاً لمعروفك ليكون الكل حتى يوم القيامة غرقى بحر فضلك واسرى احسانك قل لنا ماذا صنعت مدى عمرك حتى حفظت جسمك هكذا سليما معافى لك صحة تغبط عليها وكلنا يتمنى مثلها لنفسه . اشرح لنا ملياً طريقة معيشتك لنقتدي بك ونحذو حذوك ولا شك ان الله قد ساقك الينا فاجلس وتمم لنا حديثك المملوء عذوبة وحكمة

وان القائد لجَّ في الالحاح الى حد لم يسعه معه الا المطاوعة فاجلسوه في صدر المكان واستأنف حديثه فقال . انكم لا تجهلون ايها السادة ان بنية كل منا يختلف تركيبها باختلاف الاقاليم والعادات والاماكن التي نقطنها مما يوجب على كل واحد ان ينظر الى مزاجه واستعداده ثم يتمعن في الخير والشر لانه اذا لم يدرك المرء استعداد مزاجه كما هو فقد لزمته العلل وتناوبته الامراض اذ ان اول ما يشترط للعافية سواء للشبان او للشيوخ هو النور والحرارة والهواء الطلق النقي والمسكن الجاف يتخلله الهواء من جميع جوانبه

وكذا يجب النظافة في الجسم والملابس وكل الاواني التي تستخدم للطعام والابتعاد عن كل قذارة كيف كانت مع انتقاء الطعام الملائم للجسم لان الطعام الجيد الشهي يعطي صحة وعافية

ولقد توصل احد نطس الاطباء بهذه الطريقة الى اثبات صحته وهو ان كل بقعة في الكرة الارضية جعل فيها فصل لكل عمر . ثم ان الملح والخبز واللبن والزبدة هي من اكبر اسباب الصحة وبالتالي اطالة العمر وانه يوجد في الملح المصل المطيل للعمر وهو الذي كان يبحث عنه الاقدمون ويتخبطون لاجله في دياجير الظلمات . فاذا شئت ان تكون تام الصحة والعافية فاجعل شرابك الماء الزلال القراح وكن معتدلاً في اكلك ونومك وتنزهك ورياضتك وملذاتك واعمالك وليكن الاعتدال رائدك وعنوانك ولا شيء يهدم بنيان الجسم مثل الافراط في كل امر . اشتغل باعتدال قدرما تشاء في نهارك ولكن اتخذ الليل لراحتك ولقد يكفي لنومك سبع او تسع ساعات واحذر في شبابك ان تجهد جسمك او ان تنتهك قواك واذ كانت الصحة لازمة لك في شيخوختك فاستبق عدتك منها في ايام الشباب

(من جار على شبابه جارت عليه شيخوخته) واعلم ايها العزيز ان شيئين في الحياة يقصران حبل العمر همُّ النفس وحدة الطبع فاذا كنت حسن الطبع رضي الخلق عذب اللسان كان الهناء خادمك والشباب ملازمك وبالجملة فاعلم ان ما تراه من ضيق اخلاقك وكسلك واحزانك واكتئابك وحدة طباعك وسائر آلامك انما هو مسبب عن سوء الهضم وعن اختلال معدتك (المعدة بيت الداء) واني امحضك الصدق فاعيد عليك ما قاله سعدي « من

المعدة تجيء حسن حال الانسان وراحة جسمه لان على حسن انتظامها يتوقف كل شيء »

ولقد صرح احد الاطباء في خطاب له بناء على ما شاهده في التشريح فقال : ان مثل المعدة والقلب الانساني مثل سفينة بخارية . فالآلة تدوم دائبة في عملها ما دام المرجل في حالة جيدة فاذا كانت نار المرجل غير متناسبة صبحت حركة الآلة غير منتظمة واذا كان ربان السفينة غير خبير بصناعته فلا يمكنه ان يوصل سفينته الى ميناء امين وهكذا اذا لم تتعلم قليلا من علم الهيجين (الصحة) ولا سيما اذا لم تراع اصوله فقد تعذر عليك الوصول بسفينة جسمك الى الميناء سالماً معافى . ولا بد لي قبل انفضاض هذا الاجتماع من ان اختتم كلامي بالقول لك . انك اذا وعيت كلامي جيداً وعملت به امكنك عند ذلك ان تتمتع بالحياة اذا كان الجسم والنفس مستريحين واعلم ان راحة الجسم في الوضوء وراحة النفس في الصلاة

الى هنا اتم الشيخ كلامه وانفرط عقد اجتماعنا وكان ذلك في سنة ١٣٢٠ الهجرة اذ كتب دانيش هذه القصيدة لتبقى تذكاراً خالداً في العالم وتكون طمأنينة لبال الانسان

قسم

الم تعلمي اني احبك يا هند ... وهل يختفي في نظرة العاشق الوجدُ
ومن عجب يا هند ان تتجاهلي ... بما عرفت سلمى وما نقلت دعدُ
وحسبي دليلاً وجنتاك فكلما ... لحظتك لحظاً يستحي منهما الوردُ
ولولا الهوى تخفين اذ ذاك سرَّهُ ... لما غضَّ منك الطرف واتقد الخدُّ
فلا تنكري مني ظواهر سلوة ... فللحب ما يخفى وللناس ما يبدو
وقد تظهر الحمى فيذهب حرها ... وقد يتوارى حرها حين تشتدُّ
ايرضيك ان تغرى بنا السن العدى ... ويهتك اسرار الهوى حاسد وغدُ
ايرضيك في هذا الجمال تهتكي ... ايرضيك إعلاني بأني له عبدُ
ملكت بهذا الحسن نفساً عزيزةً ... لها المجد يدعوها اليه او اللحدُ
فلا تطمعي في ان تذلَّ لانها ... يهون عليها الموت ان لم يكن بدُّ
يميناً بمن سوّى السماء وشادها ... ظلالاً من الانوار تعلو وتمتدُّ
ومن ادهش الالباب من بعض صنعه ... عجائب خلق ليس يدركها عدُّ
ومن اطلع الزهر النجوم كأنها ... نواظر عشاق يقلبها السهدُ
واقسم بالارض التي في ربوعها ... نشأنا وايام التداني لنا عهدُ
وبالروض نجني زهرهُ ونسيمهُ ... يفوح الشذا منه واطيارُهُ تشدو
وبالماء يروي كل قفر واهله ... فتحيي به الارواح والحجر الصلدُ
وبالسحر بين العين والقلب كامناً ... فمنه لها رسلٌ ومنها له وفدُ